**مادة النص السردي المغاربي ـ السنة الثالثة، شعبة: دراسات أدبية. د/ محمد مداور.**

**المحاضرة الرابعة: رواية التسعينات في الجزائر.**

**1/تمهيد:**

عاشت الجزائر في تسعينيات القرن الماضي ظروفا صعبة على المستوى السياسي والأمني والاقتصادي والاجتماعي، ومن الطبيعي أن ينعكس ذلك الوضع على المستوى الثقافي. حيث عرفت هذه المرحلة إعلاميا باسم العشرية السوداء أو سنوات الإرهاب. وقد عمدت روايات جزائرية عديدة إلى محاولة تمثيل هذه الأزمة والتعبير عن هذا الواقع المأساوي. حاول كتاب هذه الروايات –عن قصد أو من غير قصد- التأسيس لنص إبداعي يختلف عن الروايات السابقة، وذلك لارتباطه بالمرحلة التاريخية التي أنتجته وبالواقع الاجتماعي الجديد الذي شكّل موضوع العنف التيمة الأبرز في الكتابة الروائية. وقد أطلق النقاد على أدب هذه المرحلة: أدب المحنة، روايات العشرية السوداء، روايات الأزمة، الأدب الاستعجالي...

**2/ تيمة العنف في روايات التسعينات:**

اشتغلت الرواية الجزائرية على **تيمة/موضوعة العنف** باعتباره الحدث الأبرز الذي طبع مرحلة التسعينات، فقد كان موضوع العنف المعروف إعلاميا بالإرهاب مدار معظم الأعمال الروائية، وهنا أخذت الرواية منعرجا آخر عالج موضوع الأزمة وآثارها؛ فاتخذت الرواية من المأساة الجزائرية موضوعا أساسيا، منه تتولد أسئلة متنها الحكائي وفي أحضانه تتشكل مختلف عناصر سردها. غير أن هذا العنف لم يكن الحدث الوحيد الطارئ؛ حيث عرفت الجزائر التحول نحو اقتصاد السوق وتسريح العمال وإلغاء انتخابات 1992.

واكبت الرواية الجزائرية التحولات السياسية في هذه المرحلة حيث ظهرت **رواية المعارضة** كبديل عن رواية السلطة التي فقدت هيبتها بعد أحداث 08 أكتوبر 1988، وبذلك فسحت المجال لرواية المعارضة بعد توفر مناخ الحرية الذي أفرزه دخول الجزائر مرحلة اختيارات جديدة سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي، فزالت سياسة الحزب الواحد، و جاءت التعددية الحزبية وقد رافق هذا المعطى السياسي اعتبار حرية التعبير في الدستور حقا من حقوق المواطنة، وبهذا أصبح النص الروائي ملزما بتحديد موقفه مما يحدث، وكما كان الروائي الصوت المعبر عن هموم الجماعة و الصادر عن عمقها، كان أول ردود فعله اتجاه ما يحدث هو الوعي بالمأساة الوطنية.

من الروايات التي تناولت موضوع المأساة وآثارها اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا: "الشمعة والدهاليز" للطاهر وطار، و"سيدة المقام" لواسيني الأعرج، و"تيميمون" لرشيد بوجدرة، وروايتا "فتاوى زمن الموت" و"بوح الرجل القادم من الظلام" لإبراهيم سعدي، و"الورم" لمحمد ساري ، و"المراسيم والجنائز" لبشير مفتي.

حاول واسيني الأعرج في روايته **"سيدة المقام"** البحث عن جذور الأزمة وفضح الممارسات التي تبعتها، حيث يصور لنا معاناة مريم التي ترمز للمرأة الجزائرية الصامدة، ويرجع سبب هذه المعاناة إلى النظام والتيار المظلم المعادي لكل مظاهر التقدم والتحضر. إنّ الإرهاب في "سيدة المقام" ليس حديثا عابرا، ولا مجرد خبر يقرأ، بل هو أحد مكونات المدينة الروائية.

تقدم رواية "بوح الرجل القادم من الظلام" لإبراهيم سعدي قراءة ممكنة للعشرية السوداء من الداخل عبر أسلوب الشهادة لتقدم شهادة حية، وفق تناول روائي ينمّ عن وعي كبير وإلمام بالظاهرة، فيقدّم تمثلا للأحداث من داخل عالم يتم تأثيثه بإحكام بتقديم عالم روائي معادل للعالم الواقعي. تتموقع أحداث الرواية بين الماضي والحاضر. في الحاضر يتعرض منزل الحاج منصور بطل الرواية للمراقبة نظرا لكونه صهرا لإرهابي هو عبد اللطيف المبحوث عنه، وكذا لمضايقات رجال الأمن واستفزازاتهم، ويبرز علاقته مع أبنائه وما تتميز به من نفور الأولاد منه. وهذا الإرهابي الخطير يزرع الرعب في المدينة التي تتحول إلى مكان للاقتتال والاغتيالات، والخوف الذي يسيطر دوما على سكانها.

وفي رواية **"تيميمون"** يحاول السارد أن يرصد لنا من عمق الصحراء الشاسعة مسلسل العنف والاغتيالات إبان الأزمة، وإن كان وسط الصحراء بعيدا نوعا ما عن صخب الإرهاب وما يحدثه من رعب، ولكن أين له أن يبتعد، و أخبار الموت تصله مسموعة ومكتوبة من خلال المذياع و الجريدة، فيرسم لنا حرق المدارس واغتيال المثقفين والأجانب والسياح. وذلك من خلال الأخبار التي تتخلل الرواية، والتي نعرف من خلالها أنّ الاغتيالات تصوب بدقة نحو المثقفين والفنانين، ولكنّها نضال أيضا للعاديين.  
إنّ أثر الإرهاب في "تيميمون" ليس محركا للتاريخ بل هو ظاهرة طارئة على التاريخ، وحدث عارض يعيق الحركة كما يقطع حبل التسلسل في القراءة، وسيبقى محطة سوداء في طريق التاريخ مثلما تظهر الأخبار بقعا سوداء في جسد الرواية إلاّ أنّها تحول دون قراءة الرواية كما لم تحل دون كتابتها فالعقبات لا توقف مجرى التاريخ وإن بقيت وشما في جسده.

**3/ محنة المثقف في الراوية التسعينية:**

ركزت روايات التسعينات على تصوير وضعية المثقف الذي وجد نفسه سجينا بين نار السلطة وجحيم الإرهاب، وسواء كان أستاذا أم كاتبا أم صحفيا أم رساما أم موظفا، فإنهم يشتركون جميعا في المطاردة و التخفي وهم يشعرون دوما أن الموت يلاحقهم.

تروي رواية "**المراسيم والجنائز**" حكايات عن مصائر مأساوية من زمن الرعب والاغتيالات والانتحارات الجماعية، والفوضى التي عمت المجتمع. يقف مثقف أمام كل هذا الخراب؛ وللتغلب على هذا اليأس والخوف، يعيش تجربة عاطفية مع فتاة معتقدا أنها ستنسيه ذلك الخراب، وتنقله إلى عوالم بعيدة مليئة بالدفئ الإنساني والمتع الحسية... تنتحر شاعرة احتجاجا على الوضع، يقتل البعض، ويهاجر آخرون. ويبقى السارد الصحفي والأستاذ الجامعي حائرا، شاهدا على الفاجعة، متسائلا عما يحدث. كما سلطت رواية "بوح الرجل القادم من الظلام" لإبراهيم سعدي الضوء على ظاهرة اغتيال المثقفين والفنانين وهجرتهم فرارا من الموت الذي كان يتربص بهم من خلال حكاية هروب الفنان الهاشمي إلى بلجيكا بعدما تعرضت لوحاته للقصف وأصبح مهددا. الحكاية التي تختزل هروب العديد من الفنانين والمثقفين خارج الجزائر.

وكذلك تصوّر فضيلة الفاروق من خلال روايتها **"تاء الخجل"**حياة صحافية جزائرية في شرق البلاد، إذ تحقق في عملية انتحار فتاة لتصل إلى حقيقة أنها قفزت من أحد جسور قسنطينة تلبية لرغبة والدها، حيث إنها اغتصبت من طرف الأيادي الآثمة، وفي الوقت الذي تصدم فيه هذه الصحفية تبدأ الاغتصابات الجماعية في جزائر التسعينات، فتصل الصدمة ذروتها و تفضّل أن تغادر الوطن الجريح، لأن الوضع فيه خانق، ومن خلال رحلتها مع المغتصبات تتعاطف مع إحداهن لأنها من نفس منطقتها وتعيش معها أيام الاحتضار.

فالرواية إذن؛ هي شهادة على واقع، و شهادة على حضور ذات المثقف المعذبة فهي تجسد في أحد أوجهها حضور المثقف و محنته في رواية الأزمة، إنّها ثقافة الوطن المجروح. ومازالت رواية فترة التسعينات وما بعدها مشدودة لتلك الرؤية الإيديولوجية ويرجع ذلك للأوضاع المأسوية التي يمر بها الوطن، وهذا ما ترك بصمته على الفن، فكل النصوص الروائية التي ظهرت في فترة المحنة، حاولت أن تعكس ما يتعرض له المجتمع في قالب يهيمن عليه البعد الإيديولوجي، وهذا ما يؤكد الهيمنة الإيديولوجية على الخطاب الروائي الجزائري.

**أهم المراجع:**

1. عامر مخلوف: أثر الإرهاب في الرواية، مجلة عالم الفكر، المجلد 22، العدد الأول بسبتمبر، د ط، 1999.

2. إبراهيم سعدي: تسعينات الجزائر كنص سردي، الملتقي الدولي السابع عبد الحميد بن هدوقة للرواية، أعمال و بحوث / مجموعة محاضرات الملتقي الدولي السادس، د ط، د ت.

3. إبراهيم سعدي: الرواية الجزائرية والراهن الوطني، الخبر الأسبوعي، عدد 4، ديسمبر 1999م.

4. آمنة بلعلى: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للنشر و التوزيع،د ط، د ت.

5. شارف مزادي: أدب المحنة في الرواية الجزائرية المعاصرة – الأدبي و الإيديولوجي في راوية التسعينات أعمال الملتقي الخامس للنقد الأدبي في الجزائر- مركز الجامعي بسعيدة، 2008م.

6. حبيب بوهرور: حول الرواية الجزائرية و الراهن الوطني، مجلة الرافد.

7. عبد الله شطاح: الرواية الجزائرية التسعينية، كتابة المحنة أم محنة الكتابة؟، مجلة تبيين، ع2، مجلد1، خريف 2012.